المحور الأول : علاقة الحكام العثمانيون في الجزائر بالقوى الاجتماعية المتنفذة في الريف

المحاضرة الثالثة: علاقة السلطة بعشائر (قبائل) المخزن

1_ الريف

يمثل سكان الريف (قرى، مداشر، بوادي...) غالبية سكان الجزائر في العهد العثماني، حيث تجاوزت نسبتهم 90% حتى95% من مجموع السكان وهذا يسمح لنا بوصف المجتمع الجزائري بأنه مجتمع ريفي بالدرجة الأولى.

وقد تميز المجتمع الريفي الجزائري _في هذه المرحلة_ بتعدد قبائله وفئاته، وتباين واقعها من حيث الامتيازات والقوة والعلاقة بالسلطة(خلوفي، ،37).

في الريف يمكننا تمييزالقبائل على حسب الامتيازات التي كانت تتمتع بها في ظل السلطة العثمانية، هذه الامتيازات التي حصلت عليها بمقابل خدمة السلطة، ومدى القوة والنفوذ الذي تتمتع به كل قبيلة، وعلى هذا الأساس يمكننا تمييز القبائل كالتالي: قبائل (عشائر) المخزن، قبائل الرعية، القبائل المتحالفة، والقبائل الممتنعة.

عرفت عشائر (قبائل) المخزن بعدة تسميات منها: (قبائل المخزن، العبيد، الزمول، والدواوير)، لكن يبقى اسم قبائل المخزن هو الأساسي.

كانت قبائل المخزن تتركز بصفة عامة في الأراضي الزراعية السهلية الخصبة والقريبة من المدن، الأبراج، والأسواق الأسبوعية وفي أهم الطرقات والمناطق الاستراتيجية التي بها بمنشآتها مثل: الجسور، مطامير تخزين الحبوب والطواحين وغيرها.(شويتام،المجتمع الجزائري، 166).

لقد أملت عدة معطيات على قبائل المخزن مهادنة مع السلطة العثمانية في الجزائر والتحالف معها، وأول هذه العوامل قرب مناطق استقرار هذه القبائل من المدن، والمناطق ذات

المنشآت الاستراتيجية ومرور الطرق الرئيسية بأراضيها أو بالقرب منها، هذه المواقع التي كانت مراكز قوة ونفوذ للسلطة الحاكمة، مما دفع القبائل إلى التحالف مع السلطة خوفا من الحملات العسكرية، وحماية لممتلكاتها من الأراضي الخصبة، وأملا في الحصول على امتيازات واعفائها من الضرائب أو توسيع مجال نفوذها.

ارتبطت هذه القبائل بالسلطة العثمانية عن طريق التبعية والولاء واستخدامها الأتراك في استتباب الأمن، مواجهة القبائل المتمردة وجمع الضرائب، وحماية بعض المشآت الاسترتتيجية، وحماية بعض المنشآت الاستراتيجية، تأمين الطرقات، وبالمقابل حصلت هذه القبائل على عدة امتيازات منها حماية الأراضي الخصبة التي كانت تملكها، إعفاؤها من الضرائب، الحصول على التجهيزات العسكرية، المؤونة...(خلوفي،37) (شويتام،240_241)

ب_ قبائل الرعية: هي الخاضعة بشكل مباشر لسلطة العثمانيين، كانت تقيم في المناطق التي توجد بها حاميات عسكرية عثمانية، أو قبائل المخزن المتحالفة معها ومناطق نفوذ المرابطين.

تحملت هذه القبائل عبء دفع الضرائب بسبب ضعفها العسكري، والاقتصادي وبالتالي فإنّ العلاقة التي كانت تربطها بالسلطة هي علاقة خضوع وتبعية مما جعلها عرضة لشتى مظاهر الاستغلال والاستعطاف.

لقد كان نصيب هذه القبائل من الأراضي الزراعية قليلا جدا، وهذا ما دفعهم إلى خدمة الإدارة ودفع الضرائب مقابل الحصول على أراضي زراعية والحصول على حماية السلطة من القبائل القوية.

ومن الملاحظ أنّ أوضاع القبائل لم تكن مستقرة، إذا يمكن أن تتحول بعض قبائل الرعية إلى قبائل مخزن والعكس صحيح، حسب الولاء وخدمة السلطة.

كانت قبائل الرعية ملزمة بدفع جميع أنواع الضرائب بشكل عيني أو نقدي منها: الزكاة، العشور، الخراج، الزمة، المعونة، والضيفة وضريبة التعيين، البرنوس هذه الضرائب التي كانت تستفيد منها السلطة إلى جانب موظفيها من البايات، القياد، وخلفاء الباي، رجل المخزن وحتى جنود المحلة.

لقد دفع هذا الوضع المزري قبائل الرعية إلى الثورة في عدة مناطق وفي فترات مختلفة خاصة في أواخر العهد العثماني، مما زاد في أعداد القبائل الممتنعة.

جـ_ القبائل المتحالفة

سعت السلطة العثمانية إلى التحالف مع بعض الزعامات الدينية والقبلية بهدف كسبها إلى جانب السلطة في مواجهة القبائل الممتنعة، ومن بين هذه القبائل نجد"بني جلاب، بني عباس وأولاد سيدي الشيخ" وغيرهم. وقد تمتعت هذه القبائل بالحرية في إدارة مناطقها، وتعيين حكامها كما حصل شيوخها على الهدايا والامتيازات، مقابل الاعتراف بالسلطة ودفع الضريبة (رمز السيادة والخضوع للدولة)(خلوفي،ص38).

د_ القبائل الممتنعة

وجدة قبائل في الجزائر في العهد العثماني سعت للامتناع عن السلطة وأغلب قبائلها كانت تستقر في المناطق الجبلية الحصينة، أو تتنقل في مناطق الهضاب العليا وتخوم الصحراء والأطلس الصحراوي ومن بين هذه القبائل نذكر: قبائل أولاد نايل بإقليم التيطري (جنوبا) وقبيلة الحراكته (ضواحي أم البواقي)، ألاد بوعون بالأوراس، النمامشة والعمامرة...(في بايلك الشرق)

أما في بايلك الغرب فإن القبائل الممتنعة كثيرا ما وجدت الدعم من الأسبان وهران، أو سلطان المغرب الأقصى، أو أنها استفادت من هذه الظروف لرفض السلطة العثمانية أو التمرد عليها، ومن بين القبائل الممتنعة: كريشت